(١)

حق الرحم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمَّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن صلة الرحم من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهي متحققة بالتواصل والتزاور بين الأهل والأقارب، والصدقة على فقيرهم، والتجاوز عن الجافي منهم؛ مما يسهم في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعيّة بين المجتمع كله؛ لذلك جاءت الدعوة إلى التعرف على صلات الأقارب بين الناس، حتى يتيسر القيام بحقها، يقول سيدنا عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه): "تعلَّمُوا أنسابكم، ثمَّ صلوا أرحامكم".

وحق الرحم أصيل في ديننا الحنيف، ويكفي الرحمَ شرفًا أن الحق سبحانه شقَّ لها اسمًا مِن أسمائِهِ، ووعدَهَا بأن يصِلَ مَنْ وصلَهَا، ويقطَعَ من قطعها، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ لَكِ)، ويكفيها أهميةً أنها شاهدة يوم القيامة للإنسان إن وصلها، وشاهدة عليه إن قطعها، يقول (صلى الله عليه وسلم): (وَكُلُّ رحِمٍ آتيةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ صاحبها تَشْهَدُ لَهُ بِصِلةٍ إن كان وصَلَها، وعليه بقطيعةٍ إن كان قطَعَها).

لذلك عُني القرآن الكريم بحق الرحم عناية بالغة، حيث يقول الحق سبحانه: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}، ويقول سبحانه: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}، ويقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}، فالنفقة على المحتاج من ذوي الأرحام من أوجب الحقوق، وثوابها مضاعف،

يقول (عليه الصلاة والسلام): (الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صدقةٌ وصِلَةٌ)، ولما نزل قول الله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} أراد سيدنا أبو طلحة (رضي الله عنه) أن يتصدق بأحب أمواله إليه وهو بستان بيرحاء، يرجو برّ تلك الصدقة وذُخرها عند الله تعالى، فقال (صلى الله عليه وسلم): (بَخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلَها في الأقربين)، فقسمها أبو طلحة (رضي الله عنه) بين أقاربه وبني عمِّه.

ولصلة الرحم فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (صلةُ الرحمِ، وحسنُ الخلقِ، وحسنُ الجوارِ، يَعْمُرْنَ الدِّيارَ، ويَزِدْنَ في الأَعْمَارِ)، ويقول (عليه الصلاة والسلام): (أيها الناس: أفشُوا السلامَ، وأطعِموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناسُ نِيام؛ تدخُلُوا الجنةَ بسلامٍ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) لرَجُل سأله عن عَمَلٍ يُدْخِلُه الجَنَّةَ: (تَعْبُدُ اللَّهَ ولَا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ)، وجاء رجل إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ ذنبًا عظيمًا، فهل لي توبة؟ قال: (هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟)) قال: لا، قال: (هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟)) قال: نَعَمْ، قَالَ: (فبَرَّها).

ولا تتم الصلة الحقيقية الكاملة حتى تشملَ جميع الأقرباء وتَعُمَّ القاطع منهم، وتعمَّهم جميعًا، فالواصل الحقيقي ليس من يكافئ على الوصل فيصل من وصله فقط، بل الواصل الحقيقي هو من يصل من قطعه، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ [أي: المبغض]).

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أن من قام بحق رحمه واستجاب لأمر الله ورسوله فاز في الدارين، وأن من قطع رحمه وأدبر خسر خسرانًا مبينًا، حيث يقول الحق سبحانه في كتابه الكريم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، ويقول سبحانه: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}، ويقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بيان عقوبة قاطع الرحم: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يدَّخرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ).

وإذا كان ديننا الحنيف قد نهى المسلم عن أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، ويُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ) فإن هذا في حق الرحم أولى وآكد، والعاقل من يستجيب لقول نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم): (وخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)، فيعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه.

اللهم ألِّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واحفظ مصرنا، وارفع رايتها في العالمين